ميـــناء آيـاس
فى السياسة المماليكية

أ.د. عادل عبد الحافظ حمزة
أســـتاذ تاريخ العصـــور الوســـطى
رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعـــة المنيـــا

ميـــناء آيـاس
فى السياسة المماليكي

ورد ذكر هذا الميناء فى كتب الجغرافيين باسم " آياس " بفتح الهمزة الممدوة والياء المثـــناة من تحت[١]، وكذلك باسم " آياذ "[٢] ، وهناك إشارات فى بعض الدراسات تشـــــير إلى أن هذه المنطقة كانت تسمى قديما " أيجاى " Aigai ثم حُـــوِّل الاسم إلى " آيـــاش " Ayash[٣] ، كمـــا أطلق عليها باللغة الإيطالية " لا جازوا " Lajazzo[٤] ، وباللغة التركية يمورتاليك Yumurtalik[٥] ، وعرفت أيضا باسم الجوزات[٦] .

---

(١) أبـــو الفـــدا: تقويم البلدان، تحقيق رينو والبارون ماك كوكين ديسلان، بيروت، ١٨٤٠م، ص٢٤٨.
وانظر القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج٤، ص ١٣٣.

(٢) شيخ الربوة : تحفة الدهر فى عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى،بغداد (د.ت) ، ص ٢١٤.

(3) Ramsay(W-M):The Historical Geography of Asia Minor, Amsterdam, 1962, p. 385.

د: هايد (ف) : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة : أحمد محمد رضا، مراجعة: عز الدين فوده، القاهرة، ١٩٩١م، ج٢، ص ٣٠٩.

(4) Setton(K-M): A history of the Crusades,V.2,Philadelphia,1962,p. 762.

وستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ترجمة الســـيد الباز العرينى، بيروت، ١٩٦٨، ص٦١٤.

CF:The Encyclopaedia of Islam , V.I, Leyden, 1913, pp528-529.

وانظر : هايد (ف) : المرجع السابق ، ج٢، ص١٤، هامش ص ٣٠٩، وعفاف صبرة : العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٨٣، هامش ص ١٠٨.

(5)Setton (K-M): Op.Cit., V.2,p. 762.

(٦) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ج٣، القاهرة ، ١٩٦٦، ص٢٢٦.

ويقع هذا الميناء بمنطقة سبخm منخفضة تكونت من غرين نهرى سيحان وجيحان على شاطئ قليقية[١] فى الجانب الغربى لخليج الإسكندرونة[٢]. بينها وبين بغراس مسافة تقدر بمرحلتين[٣] ، ويحدها من الشمال كارامانيا التى يسكنها التركمان[٤] .

---

(١) تقع قليقية بالإقليم الواقع فى الجنوب الشرقى من آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر المتوسط، وقد أطلق العرب على هذا الإقليم اسم الدروب؛ أى الطريق الذى يسلك ما بين طرسوس وبلاد الروم . انظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، مقال بالموسم الثقافى للجمعية التاريخية ٦٧/١٩٦٨م، ص ١٣٣ وما بعدها . ويضيف البعض أن قليقية كانت ولاية من ولايات الإمبراطورية البيزنطية طيلة عهد الإمبراطور البيزنطى حنا كومنيين (١١١٨-١١٤٣م) . انظر: عبد الحفيظ محمد على: المسلمون والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط (٣-٦هـ/٩-١٢م) ، ج٢، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٨٢م، ص ١٩١-١٩٢. وعلى أية حال فقد خضعت قليقية بعد ذلك للأرمن .

CF: Sauvaget (J) : Alep, Paris, 1941. p. 164.

وعن مملكة أرمينية انظر: أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك فى مصر والشام، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو ، ج١، ترجمها إلى الإنجليزية: وليم مارسدن ، ونقلها إلى العربية: عبد العزيز جاويد ، الطبعة الثانية، القاهرة ، ١٩٩٥، ص١٨٥. والقلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٨٣.

CF: The Encyclopadeia of Islam , V.I, p. 528.

وهايد (ف) : المرجع السابق ، ج٢، هامش ص ١٧.

وكى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص ١٦٤.

(٣) القلقشندى: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣.

CF: Demonbynes (G) : La Syrie Al' Epoque Des Mamelouks, Tome III , Paris , 1923, pp . 98, 248.

(٤) ماركو بولو: المصدر السابق، ج١، ص٤٩.

وتعد آياس ميناء الأرمن وداخلة فى نطاق دولتهم[١] . وعدها البعض عاصمة بلاد ما وراء نهر جيحان[٢] . واستمر الحال على هذا المنوال حتى ظهرت دولة سلاطين المماليك على الساحة السياسية فى الشرق الأوسط سنة ٦٥٨هـ-/١٢٦٠م.

وعلى أيه حال ، فإن المنطقة البحرية الواقع عليها هذا الميناء حملت اسمه وغدت تعرف بخليج آياس الذى تمتع برحابة المكان، والحصنين اللذين يذودان عنها، أحدهما على جزيرة قبالة الميناء فى البحر [٣] يسمى أطلس وهو مبنى من الحجر الأصم الأطلس، وتقدر مساحته بحوالى ثمانية وثلاثين قيراطا، وارتفاعه يصل قرابة اثنتين وأربعين ذراعًا بـ (ذراع العمل) [٤] ، ويقدر طول السور الذى يحيط بالميناء بحوالى خمسة آلاف ومائتين وستون ذراعا - بذراع العمل أيضا [٥] ، ويقدر عرضه بثلاث عشرة ذراعا [٦].

والذى لا شك فيه أن هذا الميناء يعد مرفأ حيويا مهما لكثيرمن القوى المعاصرة آنذاك سواء الإسلامية أم الصليبية ؛ حيث توجد فيه عيون جارية ، وأنهار عذبة ،

---

(١) أبو الفدا: المصدر السابق ، ص ٢٩، ص٢٤٨.

CF: Ciggaar (K), Davids (A) and Teule (Herman): East and West in the Crusader States , Leuven, 1996,p.65.

وانظر: شيخ الربوة: المصدر السابق، ص٢١٤. والقلقشندى: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣.

وهايد (ف) : المرجع السابق ، ج٢، هامش ص ٣٠٩.

(٢) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر، القاهرة ، (د.ت) ، هامش ص ٢٢٤.

(٣) هايد (ف) : المرجع السابق ، ج٢، ص٣٠٩.

وانظر : فتحى عثمان : المرجع السابق، ج٣، ص ٢٢٦.

CF: The Encyclopadia of Islam , V.I, pp.528-829.

(٤) ذراع العمل : وضع فى العراق زمن ولاية زياد بن أبى سفيان أيام خلافة معاوية بن أبى سفيان . انظر: إبراهيم على طرخان: النظم الإقطاعية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٥١٣-٥١٤.

(٥) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون، تحقيق: بربارة شيفر، ج٢، ق١، فسبادن،١٩٧٨، ص١١-١٢.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، بيروت ، ١٩٨٣، ص١٠٣.

وبســـاتين عامـــرة بأنواع مختلفة من الفواكه [١] ، ويتردد عليه تجار بنادقه وجنويون ليتـــبادلوا المتاجر من التوابل والعقاقير والمنسوجات الحريرية والصوف وغير ذلك من الســـلع الثمينة [٢] . وبالإضافة إلى تجار هذه الجنسيات ، كان هناك تجار من جنسيات أخرى يتوجهون إليها مثلما كانوا يتوجهون إلى عكا أثناء السيطرة الصليبية عليها [٣] .

واعتـــبارا من النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) بدأ المغـــول الإيلخانـــيون يسلكون طرقا تجارية عبر آسيا، الأمر الذى أدى إلى علو مكانة "آياس"، بسبب اتخاذها نقطة انطلاق للرحالة والقوافل التجارية إلى تبريز وبغداد بصفة خاصة ثم إلى الشرق بصفة عامة [٤]، فضلا عن كونها ممرا لكثير من البعثات البابوية إلى خاقانات المغول فى الشرق [٥] .

وبطبيعة الحال ، بعد أن أخذت القلاع والحصون الصليبية الساحلية وغير الساحلية بالشـــام تتهاوى وتتساقط فى أيدى سلاطين المماليك ، بدأت بالتالى التجارة الساحلية الشـــمالية تسلك طرقا بعيدة عن السيطرة المماليكية، وتتخذ نقاطا جديدة للانطلاق

---

(١) الشجاعى: المصدر السابق، ج٢، ق١، ص١١.

(2) Toumanoff (C): Armenia and Georgia, Chapter , N.24 in Camb - Med-Hist,V.4, part .1, Camb, 1964, p. 633.

وانظر:ماركو بولو:المصدر السابق،ج١، ص ٤٨، ج٢، ص٣١٢، ص٣١٤-٣١٥.

(3) Leoplod(Antony):How to Recover the holy land, Ashqate,2000,p. 96.

(4) Toumenoff (C) : Op.Cit,p. 633.

وسعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ص١٥٤-١٥٥، وستيفن رنسيمان: المرجع السابق ، ج٣، ص ٥٥٩. وصبحى لبيب : سياسة مصر التجارية فى عصر الأيوبيين والمماليك ، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلدان ٢٨، ٢٩ لسنة ٨١ -١٩٨٢م، ص١٣٠. ويوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، دار عين ، القاهرة ، ١٩٩٩م، ص ١٧٥-١٧٧.

(٥) هايد (ف) : المرجع السابق ، ج٢، ص٣١٠، وعادل هلال : العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامى ، الطبعةالأولى، دار عين، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ٦٨-٦٩. وانظر: السيد الباز العرينى: المغول ، بيروت، ١٩٨١، ص٣٠١.

CF: Setton (K.M): Op.Cit .V.5, 1985, p. 438.

مـــنها، مثل ميناء آياس الأرمنى[١]، على الرغم من أن طريق آياس تبريز لم يكن مألوفا تماما[٢] .

وهنا يضيف بعض المؤرخين أنه مما زاد من أهمية ونشاط ميناء آياس ما لجأت إليه الـــبابوية بعد سقوط عكا عام ١٢٩١م من إصدار مراسيم تحرم التجارة مع المماليك . وفـــرض حصار اقتصادى عليهم فى مصر والشام ، الأمر الذى أثر بالفعل على النشاط الاقتصادى لدولة المماليك[٣] . وأصبحت آياس نقطة ارتكاز تجارية مهمة لكافة القوى المسيحية بالمنطقة ، وكذلك محطا للتجار الأوروبيين؛ إذ حصل الجنويون على امتيازات لـــبعض السلع فيه مثل : الفلفل ، والجنـــزبيل ، والنيلة ، وغيرها .. وبدأ يتواجد بها البنادقة [٤] ، وغدت لهم أسواق فيها [٥] .

والذى لا شك فيه ، أن تغير مسار التجار الغربيين بمتاجرهم إلى آياس قد أدى إلى رقى مكانتها التجارية ، وارتفاع دخلها حيث قدره بعض المؤرخين " كل شهر ثلاثين ألـــف ديـــنار خارجا عن ملاحة بها " و " فى كل سنة بسبعمائة ألف درهم "[٦]، فى الوقـــت الذى خفض فيه الأرمن الضرائب على التجارة المارة بأراضيهم، بما فيها طبعا ميـــناء آياس، من ٤٪ إلى ٢٪ ، وذلك ليجذبوا التجار إليهم[٧]. بالإضافة إلى كل هذا

---

(١) السيد الباز العرينى: المغول،ص ٢٩٤،وهامش ص ٣٠١.

(٢) هايد (ف) : المرجع السابق، ج٢، ص٣١١. وانظر : عادل هلال : المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٣) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ص ١٥٥.

CF: Riley - Smith (J): The Oxford illustrated History of the crusades , Oxford , New York , 1995 , p. 128.

(٤) هايد (ف) : المرجع السابق، ج٢، ص٣١٠-٣١١. وانظر : ستيفن رنسيمان: المرجع السابق ، ج٣، ص٦٨٢-٦٨٣. وسعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٦٢.

CF: The Encyclopaedia of Islam ,V.I, p. 528.

(5)Setton (K.M) : Op.Cit, V.5. p. 445.

(٦) الشجاعى : المصدر السابق ، ج٢، ق ١، ص١١. وانظر : السيد الباز العرينى : المغول، هامش ص ٣٠١، وسعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص١٥٥. وعادل هلال : المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٧) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ، ج٢، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦، ص١١٥٧-١١٥٨.

فإن هذا الوضع الجديد أعطى فرصة لتجمعات صليبية فى آياس، الأمر الذى دفعهم إلى التفكير فى إنزال قوات عسكرية بحرية صليبية لاستخدامها ضد المسلمين[١] .

ولعـــل هذا مما أدى إلى تدهور داخل الموانئ الساحلية المماليكية فى مصر والشام، وبخاصة الواقعة جنوبى ميناء آياس ، الأمر الذى أثار حفيظة سلاطين المماليك ، وبدأت المحـــاولات من جانبهم فى وقت مبكر من تاريخ دولتهم ، منـــذ عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـــ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) للســـيطرة على آياس ، فقد أخذ على عاتقه عـــدة مهام تتصل بتأمين حدود الدولة المماليكية الناشئة ، منها : مهاجمة الأرمن بوجه عام وآياس بصفة خاصة . وتعود أولى هجمات السلطان بيبرس عليهم إلى سنة ٦٦٤ هـــ/ ١٢٦٦م، إذ دخـــل المماليـــك فى هذه المرة عددا من المدن الأرمينية من بينها آيـــاس[٢] ، حيث تولى قيادتها العسكرية الأمير قلاوون[٣] ، وكرر المماليك هجماتهم على سيس عاصمة مملكة الأرمن ، وعلى آياس فى يوم الاثنين ٢١ رمضان ٦٧٣هـــ / ١٢٧٥م ، بقيادة الأمير بدر الدين بيسرى والأمير سيف الدين أيتمش السعدى، وأقام الجـــيش المملوكـــى هناك قرابة شهر، وكان الأرمن قد علموا بقدوم هذه الحملة عن

(١) ستيفن رنسيمان : المرجع السابق، ج٣، ص٦٧٨.

(٢) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ترجمة إسحق أرملة ، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٢٦.وابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين ، ج١، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٥، ص٧٤. وانظر : عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى إيران، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٥٨. وللمزيد عن موقف السلطان الظاهر بيبرس من مملكة أرمينية . انظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية ، ص ١٥٧. وسعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ٢١٢. وأحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، الإسكندرية ، ١٩٨٢م، ص٢٣٠-٢٣١. وستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج٣، ص ٥٥٣. وعلى إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ، الطبعة الثالثة، القاهرة ، ١٩٦٧م، ص ١٦٩.

CF: Vryonis (Spero) : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the Eleventh through the fifteenth century , London , 1971, p. 256.

(٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق ٢، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٥٥٢.

طـــريق الصـــليبيين، الأمـــر الذى ترتب عليه هروب ما لا يقل عن ألفين من الأرمن بـــأموالهم إلى مراكـــبهم، فلقى عدد كبير منهم حتفهم فى البحر غرقا، وأسر المماليك بعضـــهم وحصلوا على غنائم منهم[١]، كما أن الصليبيين أنفسهم انتهزوا هذا الوضع ونهبوا ما استطاعوا من الأرمن " كل مالهم وانتزعوا ثيابهم كذلك "[٢] .

وعلى أية حال ، فقـــد شارك الأرمن المغول فى المعركة التى نشـــبت بينهم وبين المماليـــك فى حمـــص سنة ٦٨١ هـــ/ ١٢٨١م والتى هزم فيها المغول؛ وعندئذ حدد السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـــ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠م) سياسته تجاه الأرمن فى اتجـــاهين : الاتجاه الأول عسكرى ؛ إذ أصدر أوامره فى سنة ٦٨٢هـــ / ١٢٨٣-١٢٨٤م إلى نائـــب حلب بتوجيه حملة ضد الأرمن فى عقر دارهم " سيس "، وبالفعل هجمـــوا عليها وقتلوا منهم جماعة وغنموا ثم عادوا إلى حلب[٣] . والاتجاه الثانى ؛ فقد لجـــأ الســـلطان قلاوون إلى مواجهة المنافسة الخطيرة التى يشكلها ميناء آياس للموانئ المماليكية ، إذ أمر السلطان نوابه فى الثغور بحسن معاملة التجار الأجانب وترغيبهم فى الوفود إلى مصر، ومراعاة العدالة فيما يجبونه منهم من أموال ، بحيث لا يأخذون منهم سوى الحقوق السلطانية، كما أصدر السلطان منشورا للتجار الذين يفدون على مصر

---

(١) ابـــن الفرات : تاريخ ابن الفرات، المجلد السابع (٦٧٢-٦٨٢هـــ) تحقيق : قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٤٢م، ص ٣١، وابن شـــداد : تاريخ الملك الظاهر ، تحقيق : أحمد حطيط، بيروت ، ١٩٨٣م، ص ١٠٦، وأيضا : ابن شداد : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج١، ق٢، تحقيق : يحـــيى زكـــريا عبارة، دمشق ، ١٩٩١، ص٣٤٦ . وانظر: بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧، ص ٨٠-٨١، ومفضل بن أبى الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فى تاريخ ما بعد ابن العميد ، فى :

CF: Blochet in Patrologia Orientalis, T. 14, Paris , 1920, pp. 389-390.

(٢) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٣١.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق ، المجلد السابع ، ص٢٧٦-٢٧٧. وانظر : بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق : زبيدة عطا ، جدة (د.ت) ، ص ٢١٥. وانظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية ، ص١٦٤- ١٦٥.

مـــن الصين والهند والسند والعراق وبلاد الروم يرحب بهم ويشرح ويصف لهم محاسن مصر[١] .

و لم يقـــف الأمر عند هذا الحد بل إن القوات المماليكية توجهت إلى بلاد الأرمن، فى عهـــد الســـلطان المنصـــور لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـــ/ ١٢٩٦-١٢٩٨م)، يقودها الأميران كجكن وقرا أرسلان إلى آياس ، غير أنهما لم يحققا نجاحا يذكر بل لقيا الهزيمة أمام قوات الأرمن حيث أكمن لهما فى الطريق، وعندما وجه الأمير بكتاش اللوم إليهما (اعتذرا بضيق المسلك والتفاف الأشجار وعدم التمكن من العدو)[٢] .

وعـــلى الـــرغم من هذه الهجمات المماليكية على آياس فإن لسان حالها يقول إن أهميتها أخذت فى الزيادة عاما بعد آخر، وبالتالى زادت خطورتها على سلطنة المماليك، ومـــن ثم سعت الأخيرة للسيطرة عليها حتى فى الأوقات التى كانت تعانى السلطنة من عـــدم الاســـتقرار السياسى ، ففى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى / الثامن الهجرى أرســـل الأمـــير قرة سنقر نائب حلب قوات بقيادة الأمير قشتمر للسيطرة على ميناء آيـــاس، ومهاجمـــة الأرمن سنة ٧٠٥هـــ/ ١٣٠٥م ، غير أن هذا الأمير لم يكن قوى الشخصـــية و لم يتصف بالاتزان النفسى والعقلى كما وصفه ابن الوردى ، الأمر الذى أدى إلى هزيمـــته أمـــام الأرمن الذين استعانوا بالصليبيين والمغول لصد المماليك عن آياس، وأسفر عن قتل وأسر عدد كبير من الجيش الحلبى ، ومن نجا منه تاه فى الجبال، و لم يرجع منه إلى حلب غير عدد قليل بدون أسلحة وأقنعة[٣] .

وإبـــان فـــترة حكم الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧١٠-٧٤١هـــ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م) عملت القوات المماليكية على تكرار هجماتها على الأرمن بصفة عامة وعلى

---

(١) انظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية ، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) المقريـــزى : المصدر السابق ، ج١، ق٣، ص٨٣٨-٨٣٩. وانظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك، ص ١٦٩.

وعن دور الإمبراطور البيزنطى فى مساعى الصلح بين الأرمن والمماليك . انظر ليلى عبد الجواد: علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية (٦٥٩-٧٨٤هـــ / ١٢٦١- ١٣٨٢م) مقال بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، العدد ٤٦، ٤٧ لسنة ١٩٨٦، القاهرة، ١٩٨٨م ،ص ٩٧-٩٨.

(٣) تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج٢، مصر ، ١٨٦٩م، ص٢٥٣.

ميناء آياس بصفة خاصة ، إذ لم ينس المماليك ما حدث لهم سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م عند آياس ، ومن ثم قام الأمير تمرتاش بالإغارة على سيس عاصمة الأرمن سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩- ١٣٢٠م، وعندئذ فر ملك الأرمن إلى قلعة آياس ، وظل الأمير المذكور يعبث بتلك البلاد فسادًا سلبًا ونهبًا قرابة شهر ثم سحب قواته منها[١] ، وتكررت هذه المحاولات ثلاث مرات فى ثلاث سنوات متتاليات غير أنها لم تكن حاسمة[٢] . لذلك أرسل السلطان جيشا شاميا بقيادة الأمير شهاب الدين قرطاى الناصرى نائب طرابلس ، فأغار على آياس، وطلب السلطان من صاحب بلاد الأرمن رد القلاع التى أخذت من قبل من نهر جاهان إلى قلاع آياس وكورة وبعلبك وسرفندكار وغيرها، فأجابه إلى طلبه، لكن عاد وعدل عن رأيه[٣] .

ويمكن القول أن كل المحاولات المماليكية السابقة لم تأت بنتائج حاسمة، وظلت آياس شجة فى حلق السلطنة المماليكية إلى أن أصدر السلطان الناصر محمد أوامره سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م بتجهيز جيش ضخم من البلاد المصرية والشامية بقيادة الأمراء : جمال الدين أقوش الناصرى نائب الكرك ، والسيفى طرشى وسيف الدين بهادر آص والسيفى كجكل وعلاء الدين الطنبغا الناصرى نائب حلب بجيشه، وجيش طرابلس وحماه، وغيرهم من القوات والأمراء . وتوجهوا إلى آياس بأبراجها الثلاثة : الأطلس، ذى الأبواب الحديدية المطلية بالرصاص، والشمعة والآياس؛ واستمر حصارهم لها أكثر من أربعين يوما، تمكنوا خلالها من هدم أسوارها وأسر كثير من رجالها وسبى حريمها[٤] ، غير أن قلعة آياس الموجودة فى البحر استعصت على القوات المماليكية ، فاضطرت القوات إلى عمل طريقين فى البحر، طول الواحد منهما ثلاثمائة ذراع

---

(١) أبو الفدا: المختصر فى أخبر البشر ، ج٤، الطبعة الأولى، القاهرة، (د.ت) ، ص ٩٠٥.

(٢) ابن الوردى: تتمة المختصر ، ج٢، ص ٢٦٩.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، ج٢ ، تحقيق: محمد محمد أمين ومراجعة : سعيد عاشور ، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) بيبرس المنصورى : المصدر السابق ، ص٢٤٠-٢٤١ . وانظر : ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، ج٢، مخطوط بجامعة القاهرة ، ورقة رقم ٢٢٨. وأيضا : ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص ١٢٤. والنويرى : الإلمام فيما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الإسكندرية ، مخطوط ورقة ٢٧١أ . وانظر : محمد جمال الدين سرور: دولة ابن قلاوون فى مصر، القاهرة (د.ت) ، ص ٢٣٠.

(العمـــل) وأقاموا عليها مجانيق، فهرب الأرمن منها وأحرقها المسلمون فى يوم الأحد ٢١ ربـيع الآخـر ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م، وهدموا بعض جوانبها ، وعادت القوات فى جمادى الآخرة من نفس العام بقيادة أقوش نائب الكرك[١] وهنا أنشد الشاعر يقول :

قـــد ألف الناس أخبارا فدارهم ... فـيها على ما حكاه السمع والبصر
وأنـــت ألفـــت تاريخـــا وقائعـــه ... فـيها لك الورد يوم الروع والصدر
فكم وصـــفت حروبا لم تفتـــك وقد ... بذلـت نفسك فيها الأجر والظفر[٢]

وكذلك قال بعض أهل الأدب :

نحـو آيـاس فـرقة مـن جيشنا ... توجهـوا كـى يملكـوا بعضـها
فاقـــتلعوا قلعـــتها وفصـــلوا ... أطلـسها وأطـــفأوا شـمعها[٣]

والسـؤال الـذى يفرض نفسه الآن هو : هل خضعت آياس للسلطنة المماليكية خضوعا كاملا بعد هذه الضربات ؟ أم أن السلطان المملوكى اكتفى بما حدث لآياس مـن تدمـير وتخريب ؟ ! فى الواقع ليس هنا فى المصادر ما يشير صراحة إلى خضوع آيـاس خضـوعا كاملا للسلطنة المملوكية حتى هذه اللحظة - أعنى سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م- وعلى الرغم من ذلك نجد بعض المصادر تشير إلى أن السلطان الناصر محمد قـد سمح لملك الأرمن ليو الخامس (١٣٢٠-١٣٤١م) بإعادة إعمار آياس سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م على أن " يزيد ملك الأرمن - القطيعة مائة ألف درهم "[٤] فهل شدة

---

(١) أبو الفدا: المختصر، ج٤، ص٩١. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٨٣، ص ١٠٣. وابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص١٢٤. وانظر : أبو المحاسن : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج٣، تحقيق: نبيل عبد العزيز ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص٥٤-٥٥.

(٢) بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، ص ٢٤٠-٢٤١ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص١٢٥.

(٤) الشجاعى : المصدر السابق ، ج٢، ق١، ص١١. وهنا يختلف القلقشندى فى تقدير هذه القطيعة التى يرسلها الأرمن للمماليك بالقول " أنه قرر على الأرمن لملوك الديار المصرية قطيعة مقررة وبلغت ألف ألف ومائتى ألف درهم مع أصناف" . انظر : صبح الأعشى ، ج٨، ص٣٠. وانظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٧٧. ومحمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٢٣٠.

هجمات المماليك على بلاد الأرمن ، ومن بينها آياس ، دفعت الأخير إلى طلب الإذن من السلطان المملوكى لإعمار آياس ؛ ذلك الميناء الأرمنى ؟ أم أن ثمة اتفاقا تم التوصل إليه بين الجانبين بموجبه تظل آياس على حالها دون إعمار بعد هجمات المماليك عليها سنة ٧٢٢هـ /١٣٢٢م . هنا يشير بعض المؤرخين إلى وجود اتفاقية بين ملك الأرمن ليو الخامس والسلطان المملوكى الناصر محمد - يغلب على الظن أنها عقدت بعد الهجمات الأخيرة - تشير إلى أن ملك الأرمن تعهد بدفع مبالغ مالية للسلطنة المماليكية قدرت بحوالى ٥٠,٠٠٠ خمسين ألف فلورنس Florins ذهب ، فضلا عن نصف دخل جمرك آياس، وأن هذه الاتفاقية مدتها خمس عشرة سنة[١] . ليس هذا فحسب، بل تشير بعض المصادر إلى اعتذار ملك الأرمن عما حدث فى آياس للمسلمين للسلطان الناصر محمد، ويعلل أن ما حدث لم يكن بأمره أو باختياره ، كما ترك نصف آياس للمسلمين، وكان بهذا الجزء كنيسة فبنى المسلمون عليها مئذنة وصاروا يؤذنون عليها للصلاة فيها، ويرفعون أصواتهم فى آياس[٢] . ولعل هذا الوضع صور لبعض المصادر أن ما حدث من المسلمين فى آياس عام ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م هو فتح لها[٣] .

لكن يمكن القول أن تعهد ملك الأرمن بإرسال نصف متحصل جمارك آياس إلى السلطنة المماليكية يعنى أن هذا الميناء ظل خاضعا للأرمن حتى هذا التاريخ ، وأن التواجد المماليكى بها كان محدودا ، ويساعدنا فى تأكيد هذا الرأى ما حدث بعد هذا

---

(1) Toumanoff (C): Op.Cit , p. 636.

(٢) النويرى : المصدر السابق ، ورقة ٢٧١أ. انظر : سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص١٧٧.

(٣) انظر: الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩، تحقيق : هانس روبرت روبمر ، القاهرة،١٩٦٠م، ص٣٠٩. وزترستين : تاريخ المماليك ، ليدن ١٩١٩، ص١٥٠، ص١٧٢. وابن إياس : المصدر السابق ، ج١، ق ١، ص ٤٧١.

وذهب ابن دقماق إلى أن آياس تعد من فتوحات الظاهر بيبرس . انظر: المصدر السابق ، ج١، ص٨٠، ص١٦٠.

مـــن تطـــاول الأرمـــن على أفراد من حلب[١] ، وغير هذا من الأحداث التى أصابت القوات المماليكية فيما بعد بآياس[٢] .

على أى حال فقد استمرت فترة هدوء مشوب بالحذر بين المماليك والأرمن لمدة لم تتجاوز سنوات المعاهدة – الآنفة الذكر – المبرمة بين الجانبين، حتى اعتدى حجاج أرمـــن عـــلى اثنين من رجال نيابة حلب ، وقتل أحدهما، فأبلغ نائب حلب السلطان الناصـــر محمد بما حدث، واعتبر أنه بذلك العمل قد نقض الأرمن العهد والميثاق المبرم معهم[٣] .

وعلى الرغم من أن ما حدث يعتبر تصرفا لا يسأل عنه ملك الأرمن، إلا أن هناك ظـــروفا اقتصادية تعانى منها مملكة الأرمن[٤] كانت من الدوافع التى دفعته لكى يعتذر للســـلطان المملوكى عما حدث من الأرمن للمماليك، لكن السلطان المملوكى الناصر محمد رفض قبول أى أعذار[٥] ، وأصدر أوامره إلى الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحى العلائى، نائب حلب والى التركمان لإرسال قوات تهاجم بلاد الأرمن بما فيها آياس[٦] وقـــد نفذت هذه الأوامر بالفعل فى شهر رمضان سنة ٧٣٥هـــ / ١٣٣٥م، فهاجمت القـــوات هـــذه البلاد وأسرت قرابة ثلاثمائة من الأرمن، وغنمت واستاقت عدة من الـــدواب . ولا شـــك أنه كان لهذا الهجوم صدى على الأرمن فى آياس فقبضوا على الـــتجار المسلمين سواء كانوا شواما أو بغاددة ، وكان عددهم يدنو من ألفين فى عيد الفطر لهـــذا العام (٧٣٥هـــ) فجمعوهم فى خان كبير ثم أشعلوا فيهم النيران و لم ينج

---

(١) الشجاعى : المصدر السابق ، ج٢ ، ق١ ، ص ٨ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١، ق١، ص ٤٧١.

(٣) الشجاعى: المصدر السابق ، ج٢، ق١، ص ٨.

(٤) عن أحوال الأرمن الاقتصادية . انظر: سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص١٨١. وستيفن رنسيمان: الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٧٥٢. وعادل هلال : المرجع السابق ، ص٢٢٢.

(٥) ابن أيبك الدوادارى : الدر الفاخر ، ج٩، ص ٣٩٩.

(٦) الشجاعى: المصدر السابق ، ج٢، ق١، ص٩. وابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٤، ص١٧٠.

منهم إلا القليل[١]، وعلم السلطان الناصر محمد بذلك فى ليلة عيد الأضحى لنفس العام " فتشوش لذلك ، واضطرب من هذا الخبر" ، وعندئذٍ دخل عليه ابن الشهاب محمود الثناء وأنشده يقول :

أيا ملك الإسلام وابن مليكهم	ومـــن أيد الرحمن بالنصر جنده
ومـــن جيشه ملأ الفضاء وأنه	لـــيهزم جيش الكفر بالله وحده
أتـــاك بعيد النحر سعدك مخبرا	لـــنا أن عيد النصر يأتيك بعده
فصل لرب الناس وانحر فبعدها	ستنحر من يدعو مع الله نده[٢]

ويبدو أن هذه الحادثة قد شجعت السلطان المملوكى الناصر محمد على الانتقام من الأرمـــن عـــلى ما فعلوه بالمسلمين من ناحية ، وعلى إخضاع ذلك الميناء الحيوى من ناحـــية أخرى، ومن ثم أصدر أوامره بضرورة توجيه الجيش المملوكى إلى تلك المنطقة يقـــوده عدد من الأمراء على رأسهم الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحى العلائى نائب حلـــب، والأمـــير سيف الدين أرقطاى الناصرى مقدم الجيش المصرى، والأمير سيف الديـــن قطلوبغا الفخرى مقدم جيش دمشق، والأمير سيف الدين بهادر الناصرى مقدم جـــيش طرابلس، والأمير صارم الدين أزبك الحموى مقدم جيش حماه[٣] ، وفى شهر رجـــب مـــن عـــام ٧٣٧ هـــ/ ١٣٣٧م شقت هذه القوات المماليكية طريقها شطر الحـــدود الأرمينية، ثم أرسل نائب حلب آلات الحصار إلى باب إسكندرونة ، وهناك وصـــلت رســـل ملك الأرمن إلى نائب دمشق تطلب منه سحب القوات الحلبية من إســـكندرونة، وعندئذ طلب نائب دمشق من نائب حلب الكف عن القتال وتحريك آلات الحصـــار إلى قلعـــة بغراس ، على أن يتحرك هو وجيشه إلى آياس لحين وصول تعليمات أخرى من السلطان الناصر محمد، ولما كان نائب حلب هوالمقدم على الجيش

---

(١) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص٢٥٩- ٢٦٠. وأبو الفدا : المصدر السابق ، ج٤ ، ص١١٥. وابن الوردى : تتمة المختصر ، ج٢، ص٣١٠ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١، ق١، ص٤٧١ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص٢٧٨-٢٧٩ .

وصاحب الحل والعقد فى تحركاته ، فإنه كان أدرى بأحواله عن نائب دمشق، لأنه هو الذى جهز الجيش بالعدد والعتاد، ووضع خطة محكمة الجوانب لتنفيذ مهامه ، كذلك عز عليه التراجع عن خطته، وقرر العبور بالجيش إلى آياس فوصلها فى ١٢ شوال ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م ، ثم قام بعمل زحافات وستائر، فى حين وقف بعض عساكر الأرمن على أسوار آياس ، ونزل بعضهم إلى البحر يطلقون سهامهم من المراكب على الجيش الحلبى ، فاشتد القتال بين الطرفين وقتل عدد كبير من الجيش الحلبى ، فى حين تقدم المشاة بالزحافات إلى سور آياس .. وبينما هم على هذا الحال وصل مهمندار نائب دمشق وبصحبته رسل ملك الأرمن ، حيث قال لنائب حلب : "ملك الأمراء – تنكز – يسلم عليك يقول لك لا تدخل غارة ولا توقع قتالا إلا أن يحضر الجواب من السلطان " . وهنا قال رسل ملك الأرمن لنائب حلب : " نحن رسم لنا ملك الأمراء – تنكز – ألا يعارضنا أحد " ، ومن ثم زاد الموقف حرجا لنائب حلب، إذ ظهر أمام رسل ملك الأرمن أن الحل والعقد ليس بيده – أعنى نائب حلب – ولكن بيد نائب دمشق، وحتى يثبت عكس ذلك ، أمر بأن يؤخذ رسل ملك الأرمن بعيدا ويقتلوا، كما وجه لوما شديدا لرسول نائب دمشق . وعندما وجد رسل ملك الأرمن هذا الموقف المتشدد من نائب حلب طلبوا الأمان والصلح معه على أن يمهلهم مدة أسبوع لإحضار المفاتيح المتفق عليها ، وتعهدوا على أنفسهم إن لم يحضروها خلال هذه المدة يكون نائب حلب فى حل من عمل أى شىء ضد بلاد الأرمن ، ومن ثم اتفق الجميع على وقف القتال ورفع الحصار، ولكى يثق نائب حلب بتعهد رسل ملك الأرمن أرسل إليه ملك الأرمن مؤكدا له ما تم الاتفاق عليه بينه وبين أولئك الرسل، ثم أرسل له مفاتيح القلاع فى الموعد المحدد آنفا، وطلب ملك الأرمن من نائب حلب رد ما نهبه جيش حلب من بلاد الأرمن، وعندئذ أمر نائب حلب بالمناداة فى الجيش على رد ما سلبوه ، ثم توجه الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لتسلم قلعة آياس وبرجها أطلس ، وبالفعل تسلموا القلعة المذكورة غير أنهم تأخروا بعض الوقت فىتسلم برج أطلس؛ لأن فيه بضائع للتجار استغرق نقلها وقتا طويلا، وظلت القوات الحلبية ثمانية أيام لم تتمكن من هدم هذا البرج حتى جاء أربعون

حجـــارا من القلاع المجاورة وعلقوه على أخشاب وأشعلوا فيه النيران حتى هوى فيها يستعر[١] .

وهكـــذا كانـــت المعارك ضارية بين القوات المماليكية والأرمينية حتى إنه قتل من المماليـــك الأمير صارم الدين أزبك الحموى مقدم جيش حماه بالقرب من آياس فى يوم الأربعـــاء ٢٥ من ذى القعدة ٧٣٧هـــ / ١٣٣٧م[٢] . ولعل أهم ما أسفرت عنه هذه المعـــارك هو السيطرة المماليكية على ميناء آياس الأرمنى الذى سلم إليهم علاوة على عدة قلاع أخرى مثل كاورا وسوندكار والهارونية ونجيمة وغيرها[٣]، إلا أن أهم هذه القـــلاع جميعا هو ميناء آياس التى يعدها القلقشنـــدى فى عصره أنها " أم بلاد ما وراء نهـــر جاهان " [٤]، ومن ثم حظيت الســـيطرة المماليكية على هـــذا الميناء بفرح غامر فى الأوســـاط المماليكـــية بمصـــر والشام وكذلك من المسلمين فى الشرق والغرب ، وزف السلطان الناصر محمد هـــذه البشرى إلى أبى الحسن علىّ المرينى صـــاحب فاس والمغرب[٥] .

وبطبـــيعة الحـــال فقد كان لهذا صـــداه عند الأرمن إذ إنه لطمة وضـــربة قوية لاقتصادهم، وبالتالى بدأوا يفكرون فى استرداد آياس من المماليك ، و لم يكن قد مضى

---

(١) الشجاعى : المصدر السابق ، ص ٨-١١. وسعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ص١٧٨-١٧٩. ومحمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون،ص٢٣١.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٨٤. وأبو المحاسن : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى،ج٢، تحقيق : محمد محمد أمين ومراجعة : سعيد عاشور : القاهرة،١٩٨٤،ص٣٤١.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص٢٧٨-٢٧٩. وأبو الفدا: المصدر السابق ، ج٤، ص١١٩. وانظر: القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤، ص١٣٣، ١٧٩. وزترستين : المصدر السابق، ص١٥٠، ص١٩٣-١٩٤. والعينى: السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، تحقيق : فهيم شلتوت ، القاهرة ، ١٩٦٧م، ص ٢١٢. وابن كثير : المصدر السابق ، ج١٤، ص١٧٨.

(٤) صبح الأعشى ، ج٨، ص٣٠.

(٥) القلقشندى: المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٥، ص٤٠٤-٤٠٦، وعن نص الرسالة التى أرسلت من القوات المماليكية إلى السلطان الناصر محمد عند فتح آياس انظر : القلقشندى : المصدر السابق، ج٨، ص ٤٠٠-٤٠٣.

على سيطرتهم عليها عشرة أعوام حيث أرسل ملك الأرمن قسطنطين الثانى (١٣٤٤-١٣٦٣م) فى المحـرم من سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م قوة من حوالى مائتى أرمينى للسيطرة علـيها، لكن الأمير المملوكى حسام الدين محمود بن داود الشيبانى نائب آياس تصدى لهـم بكل قوة،وقتل حوالى خمسين وأسر ما لايقل عن ثلاثين منهم عند " كوار " وفر الباقون، وحمل الأسرى إلى حلب، ويبدو أن أهالى " كوار " هذه قد تعاونوا مع قوات نائب آياس المملوكى، وإلا فبماذا نفسر إغداق المماليك الأموال عليهم؟[١] .

وإذا كانـت قـوات ملك الأرمن قد فشلت فى استرداد آياس من المماليك، فإن الصـليبيين قد شعروا بما حاق بهم من جراء فقدهم هذا الميناء وغيره من المدن والموانى الشامية، مما دفعهم إلى التفكير فى غزو آياس .ولكن كيف ومتى حدث هذا؟ هنا يشير بعـض المؤرخـين إلى محاولـة جاءت فى سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م من صليبى قبرس واسبتارية رودس للاستيلاء على الإسكندرية[٢]. ومن الثابت تاريخيا أن هـذه المحاولة باءت بالفشل الذريع ، فما كان من هؤلاء إلا أنهم وجهوا أنظارهم إلى المدن والموانئ الساحلية الشامية، ما بين شهرى يونيه وسبتمبر من نفس العام بقيادة بطرس لوزجنان، فهـاجموا طـرابلس، وهناك تكرر فشلهم أيضا كما فشلوا فى الإسكندرية من قبل ، فاعـتقدوا أنه من الأجدى لهم السيطرة على ميناء آياس ، فأبحروا من طرابلس ومعهم ما يزيد عن مائة قطعة بحرية حربية مجهزة قتاليا وعليها الخيول وبصحبتهم ملكا قبرس ورودس ومقدم الاسبتارية[٣] . ووصلت هذه القوات إلى ميناء آياس . والسؤال الذى يفـرض نفسـه الآن هـل كانت هناك ثمة نداءات أرمينية ضد التواجد المماليكى فى آيـاس[٤]، أم أن هذه القوات وصلت إلى آياس كامتداد طبيعى لنشاطهما العسكرى على ساحلى مصر والشام ؟

---

(١) أبـو الفـدا: المصـدر السابق ، ج٤، ص١٤٧. وابن الوردى : المصدر السابق ، ج٢، ص٣٤٥. والمقريزى : السلوك ،ج٢، ق٣، ص ٧٢٦.

(٢) انظـر : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، الطبعة الثانية، الإسكندرية ، ١٩٦٩، ص٣١٠-٣٤٤.

(٣) ابن حبيب : درة الأسلاك ، جـ٣ ، مخطوط ورقة ٤٤٣ . وانظر : المقريزى : السلوك، جـ٣ ،ق، ص ١٤٩-١٥٠ . وابن إياس : المصدر السابق ، ج١، ق ، ص٦٥ .

(٤) سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص١٤١.

لعل استعراض ما ورد فى بعض المصادر المعاصرة يجلى لنا حقيقة هذه الحملة ، حيث يشير النويرى إلى أنه عندما علم الأرمن بوصول الحملة إلى آياس طلبوا المساعدة من المماليك ضد الصليبيين ، وتم الاتفاق بين الأرمن والمماليك بآياس على أن يخرج الأرمن لمقابلة القبارسة لأنهم نصارى مثلهم ، وعندئذ يصنعون الحيل والمكائد ضدهم لحين وصول الإمدادات إلى المماليك . وتنفيذا لهذه الاتفاقية خرج نائب الأرمن فى آياس وطلب من القبارسة حقن الدماء " لنستريح من غضب السيد المسيح "، وعندئذ نزل ملك قبرس إلى آياس واتخذ من الأرمن أدلاء له . ويبدو أن ملك قبرس خشى أن تكون ثمة مؤامرة مدبرة ضده للنيل منه ومن جيشه ، فطلب حضور قائد المماليك إليه، وحتى لا يخامر ملك قبرس الشك حضر إليه قائد المماليك فى ثياب رثة ، ولم يفت الأخير تذكرة ملك قبرس بالعلاقات السابقة بين سلطنة المماليك وقبرس والهدايا المتبادلة بينهما ، وذكر له أنه أولى وأحق بآياس من الأرمن والمماليك . وأردف قائلا : " وإذا طلبت البلد لا نمنعك عنها "، وعندئذ سعد ملك قبرس بكلام قائد المماليك وتطلع للسيطرة على آياس وحتى يطمعوه أكثر فيها وتنجح خطتهم ، قدم الأرمن والمماليك الأبقار هدية له ، وتركوا خيوله ترعى فى الحشائش الخضراء ، وتلقى وعودا منهم بتسليم آياس إليه ، وقد ترتب على هذا اطمئنان ملك قبرس. وما إن جن الليل حتى هجم المماليك ومن معهم من العربان والتركمان عليه، ولم يكن آنذاك أمام الجيش القبرسى بما فيه الملك إلا الفرار إلى مراكبهم الرابضة على ميناء آياس[1].

هذه رواية من روايات النويرى ، وهناك رواية ثانية ذكرها هو أيضا ، مفادها أنه عند وصول الجيش القبرسى إلى آياس قام قائد الجيش المملوكى بتحصين قلعة آياس ، وطلب من جنوده إخلاء الشاطئ ، على أن يسمح للمراكب القبرسية بالرسو والنزول ، وبعد ذلك قام المماليك بحرقها . ويستطرد النويرى بالقول أن هذه الخطة نفذت بالكامل ، حيث تم حرق نحو خمسين مركبا ، وقتل من الصليبيين ما يقرب من خمسة آلاف قبرسى ، وغرق منهم فى البحر عدد كبير ، كما جرح مثلهم ، ومنهم

(١) النويرى : المصدر السابق ، ورقة ٢٧١أ ،٢٧١ب . وانظر : محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ٢٥٥-٢٥٧ .

من سلم نفسه ، ويقال إن ملك قبرس لجأ إلى سرداب فى أحد الأديرة بآياس ، وعندئذ أبلغ مقدم الدير القائد المملوكى بذلك وطلب منه الحضور بقواته لمساعدته فى القبض على ملك قبرس ؛ لأن الأرض المقام عليها الدير كانت منحة من المماليك . وهنا يضيف النويرى أن الأقوال ترددت فى وضع الملك القبرسى : هل قتل ؟ أم أسر ؟ أم هرب ؟ أم جرح ؟ وقيل قد قص لحيته حتى لا يتعرف عليه أحد[١] .

هذه هى الرواية الثانية التى أوردها النويرى ، وهناك رواية ثالثة يذكرها لنا أيضا، تردد فيها أن المسلمين عندما رأوا الجيش القبرسى أشعلوا النيران على قمم الجبال فاجتمع المماليك وقاتلوا القبارسة على الساحل ؛ حيث قتلوا منهم نحو خمسمائة وفر الباقون إلى مراكبهم فى البحر ، وأشعل المماليك النار فى قتلى الصليبيين أمام رفاقهم ؛ فى الوقت الذى قتل فيه من المماليك قرابة ثلاثة وسبعين وجرح نحو مائة ، ثم هرب ملك قبرس فى البحر[٢] .

ويضيف ابن حبيب أن القبارسة دخلوا آياس فلم يجدوا فيها إلا الأرمن بها لأن المماليك تركوها ، فاستولى القبارسة على الأموال والأمتعة[٣] ، وتذكر بعض المصادر أنهم ملكوا قلعة آياس[٤] .

وباستعراض الروايات الآنفة الذكر يمكن القول أن القوة القبرسية التى نزلت على آياس كانت أكثر وأقوى عددا وعدة من القوات المماليكية المرابضة بها ، ومن ثم فإن اجتياحها أصبح سهل المنال وليس غريبا ؛ نظرا لأنها الميناء الحدودى الشمالى الذى يبعد عن قلب عاصمة السلطنة المماليكية آلاف الأميال ، فى الوقت التى لم تستعص عليهم الإسكندرية التى لا تبعد عن قلب السلطنة (القاهرة) ثمانين ميلا ؛ بالإضافة إلى هذا ، إذا عقدنا مقارنة عندئذ بين القوتين المماليكيتين فى كل من الإسكندرية وآياس لأمكن إدراك الأسباب التى ساعدت القوات القبرسية على اجتياح آياس .

---

(١) النويرى : المصدر السابق ، ورقة ٢٧٢ أ .

(٢) نفسه ورقة ٢٧٢ ب .

(٣) ابن حبيب : درة الأسلاك ، ج ٣ ، ورقة ٤٤٣ والمقريزى : المصدر السابق ، ج ٣، ق ١، ص ١٥٠ .

(٤) ابن آياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٥ .

على أية حال ، أصبحت المهمة الملقاة على عاتق المماليك هى طرد القبارسة ومن معهم من آياس ، وهى المهمة التى تولى تنفيذها نائب أقرب نيابة إلى آياس ألا وهو نائب حلب الأمير منكلى بغا الشمسى الذى تحرك بجيشه مع جيش القلاع المجاورة لآياس لمقاتلة القبارسة الذين سرعان ما أخلوا قلعة آياس وفروا إلى البحر ، وتعقبهم المماليك بعدما استولوا على خيولهم ، وأسروا بعض جنودهم ، ثم تمركز الجيش فى آياس خشية عودة الجيش القبرسى مرة أخرى[١] .

على أية حال فإن لسان حال الأحداث السابقة الذكر يقول لنا : إنه على ما يبدو كان يوجد بآياس آنذاك أرمن ومماليك، مما يجعلنا نقرر أنها غدت مناصفة بين الجانبين، وأن الجزء الذى يخضع للسيطرة المماليكية يمثل نقمة عليهم أكثر مما هو نعمة لهم ؛ وذلك لأن الأطماع الصليبية القبرسية فى آياس ، والاستغاثة الأرمينية بهم ، ساعدت على زيادة القلاقل فى هذه المنطقة ، الأمر الذى ترتب عليه أن قرر المماليك السيطرة الكاملة ليس على آياس فحسب بل على بلاد الأرمن جميعها ؛ وهو ما حدث فى شهر شعبان ٧٧٦هـ/ يناير ١٣٧٥م ، وخضعت تماما للسلطنة المماليكية ، وعينت الأخيرة نائبا على أرمينية الصغرى يحمل لقب نائب سيس[٢] .

غير أنه إذا كانت السلطنة المماليكية قد ارتاحت من الأطماع القبرسية الصليبية فى آياس، فإنه سرعان ما ظهرت أطماع ليست خارجية ، ولكن من داخل المناطق المتاخمة

---

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ، جـ ٣ ، ورقة ٤٤٣ . وانظر : المقريزى : السلوك ، ج٣ ، ق١ ، ص ١٥٠ . وابن إياس : المصدر السابق ، جـ ١ ، ق٢ ص ٦٥ . وسعيد عاشور: قبرس والحروب الصليبية ، ص ٧٨ ، ١٥٧ . هايد (ف): المرجع السابق ، ج٢،ص ٣٢٨ .

(٢) ابن حبيب : درة الأسلاك ، جـ٣ ، ورقة ٤٧٥ . وانظر : شمس الدين الحلبى : تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ، تحقيق : عبد القادر طليمات، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١٣٢. وابن إياس : المصدر السابق، جـ١ ، ق٢ ، ص ١٣٩-١٤٠ ؛ على إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٧١-١٧٢ وهايد : (ف) : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢٨ وإيرامارفين لابيدوس : مدن الشام فى العصر المملوكى، ترجمة : سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق ، ١٩٨٥م ، ص ٥٥. وسعيد عاشور: الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ١١٦٠ - ١١٦١ .

لأرمينية الصغرى، ومن هذه القوى التركمان . ففى ذى الحجة سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٩م طغى التركمان الأجقية والأغاجرية فى مدينة سيس ، الأمر الذى دفع الأمير تمرباش الدمرادشى نائب حلب إلى التحرك بقواته ومعه بعض قوات من دمشق وحماه لمواجهة هذه الجماعات التركمانية ، وعندما كان قاب قوسين أو أدنى من آياس جاء إليه بعض أمراء التركمان وأهدوه هدية قيمة ، وطلبوا منه الأمان للتركمان على أن يدفعوا له ما هو مقرر عليهم كالعادة، غير أن نائب حلب سرعان ما قبض على هؤلاء الأمراء التركمان الذين قدموا له الهدية، وبذلك يكون قد أخلف وأخل بالعهد معهم مما أثار حفيظة بقية التركمان ضده . وانتهزوا فرصة دخوله بمن معه إلى آياس ليعيث فيها فسادا وهجموا عليه وعلى جيشه عند خروجه منها فى مكان ضيق يقال إن اسمه " باب الملك " وقتلوا منهم عددا كبيرا ، واستولوا على كثير من أمتعة وخيول وجمال وأسلحة وخيام وقماش الجيش المملوكى[1] .

ولعل الإشارة السابقة إلى دخول نائب حلب بقواته إلى آياس ، هو خير دليل على أنه حتى هذه اللحظة كانت هناك قوات صليبية فضلا عن التواجد الأرمينى بها . وهنا يمكننا التأكيد على ما سبق طرحه من أنه بالرغم من السيطرة المماليكية على سيس فإن تلك السيطرة على آياس كانت حتى ذلك الوقت سيطرة جزئية ، وإلا فما الذى دفع نائب حلب إلى دخولها بقواته ؟[2] .

لقد سبق القول أن آخر الهجمات الصليبية على آياس كانت حملة بطرس لوزجنان القبرسى، وعلى الرغم من عدم تمكنه منها إلا أن فكرة السيطرة على آياس راودت الصليبيين مرة ثانية ، كما راودت التركمان وغيرهم، وقد ظهرت السفن الصليبية فى عرض البحر المتوسط خلال شهر شعبان ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م فى طريقها إلى آياس ، وعندئذ تحرك يلبغا الناصرى نائب حلب بقواته لمواجهتها ، ونزل فى منطقة " العمق " قرب البحر لكن السفن الصليبية رست ونزلت فى بيروت ، فصدتها القوات الشامية ،

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ق٢ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨. وانظر ابن إياس : بدائع الزهور، ج١ ، ق٢ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) حول هذا الرأى انظر محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٢٥٧.

وقتلت من الصليبيين ما لا يقل عن خمسمائة وفر الباقون إلى السفن فى البحر[١] مما أجهض تلك المحاولة الصليبية التى كانت تستهدف آياس .

وما إن تخلصت القوات المماليكية من الهجوم الصليبى على آياس حتى جدد التركمان هجماتهم عليها مرة ثانية فى أواخر عام ٧٨٥هـ/١٣٨٤م ، ودخل يلبغا الناصرى نائب حلب فى حرب معهم عند "باب الملك" أيضا ، واضطر الأخير إلى دخول آياس ، الأمر الذى ساعد التركمان على الإحاطة به إحاطة السوار بالمعصم ، وسدوا عليه منافذ المئونة بتحكمهم فى "باب الملك" ، ووقعت القوات المماليكية فى ضائقة اقتصادية شديدة[٢] أنقذهم منها الأمير سودون المظفرى حاجب حجاب حلب فضلا عن أمراء وشباب من حلب ، إذ تمكنوا من كسر الحصار التركمانى على الجيش المماليكى عند " باب الملك " فخرج من آياس وعاد إلى حلب بعد إلحاق عدة إصابات به[٣] .

ومن الواضح إذن من خلال العرض السابق أن آياس كانت دائما وأبدا مطمعا للقوى المعاصرة ، الأمر الذى أدى إلى صراع شبه دولى حولها ، من الأرمن والصليبيين والمماليك والتركمان ، ولعل هذا الصراع هو الذى كثف الهجمات المماليكية عليها ، رغبة فى السيطرة عليها سيطرة كاملة ، وصمدت القوات المماليكية أمام كل القوى الآنفة الذكر إلى أن انتهى المطاف باستقرار الأوضاع بآياس فى النهاية لصالح المماليك.

وقد أخذت آياس تلعب دورا مهما فيما يحدث على الحدود الشمالية لسلطنة المماليك من مؤامرات وثورات كان من شأنها أن تقلق عاصمة السلطنة بالقاهرة ، ونذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر ، حتى تتأكد صحة هذه الفكرة من

---

(١) الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشى،ج١، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٧٦ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، ج٣، ق٢، ص ٤٩٩.

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ج٣ ، ق ٢، ص ٥٠٥-٥٠٨ . وابن إياس : بدائع الزهور ، ج١، ق٢، ص٣٣٩-٣٤٠.

عدمهـــا، فعـــندما حدثـــت ثورة الشام ضد السلطنة المماليكية فى أوائل القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى ، تزعمها الأمير جكم أمير طرابلس والأمير علان نائب حمـــاه ، حـــاول نائب حلب الصمود فى وجه الثائرين دون جدوى ، فاجتاح الثائران حلب ، و لم يكن أمام نائب حلب غير الفرار هو ومن معه من الأمراء إلى آياس فى ١٣ شـــعبان ٨٠٧هـــ/١٤٠٥م، واستقبله نائبهما استقبالا حافلا ، وأمده بالمراكب التى أقلته إلى سواحل مصر خوفا من وقوعه فى يد الثائرين[١] .

كمـــا أن هنـــاك إشارات فى بعض المصادر تشير إلى أن الذى أوعز إلى السلطان برســـباى المملوكى (٨٢٥-٨٤١هـــ/١٤٢٢-١٤٣٨م) بغزو قبرس رجل من رجال البحر يسمى الريس فاضل : " من أهل مدينة آياس قدم إلى السلطان فى الســـنة الخالية (٨٢٧هـــ/١٤٢٤م) وحسن له غزو الفرنج ، ووعده بغنيمة أموال عظيمة، حتى كان من غزوة اللمسون [ميناء ليماسول فى قبرس] فأخذ فى التعبئة لغزوهم "[٢] .

لكـــن الوضـــع لم يستمر على هذا الحال ، إذ مع أواخر القرن التاسع الهجرى / الخـــامس عشـــر الميلادى ، بدأت تضعف دولة المماليك ، وتظهر قوى جديدة على الساحة السياسية ، وبدأت هذه القوى تتطلع إلى آياس ، حتى استولى عليها شاه سوار فى المحرم سنة ٨٧٥هـــ/يوليو ١٤٧٠م[٣] . ويبدو أنه لم يمكث فيها طويلا ، وليس أدل عـــلى ذلك من أنه أثناء عودة الأمير خليل من رحلته من تبريز إلى الشام ومصر عرج على آياس فى ٢٢ربيع الآخر سنة ٨٧٦هـــ/أكتوبر ١٤٧١م ، ووزع فيها على الجند عليق شهر جمادى الأولى لنفس العام[٤] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـــ٣، ق٣ ، تحقيق: سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٧١، ص١١٤٦ . وانظر: ابن إياس : بدائع الزهور ، جـــ١، ق ٢، ص ٧٠٦.

(٢) المقريـــزى : السلوك ، جـــ٤، ق ٢ ، تحقيق : سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢، ص ٦٨٩ . وعن حمـــلات الســـلطان برسباى على قبرس : انظر : سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية. وسعيد عاشور: العصر المملوكى ، ص١٦٩ وما بعدها .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، جـــ٣، ص ٥١.

(٤) شمس الدين الحلبى : المصدر السابق ، ص ١٢٤.

لكن الذى لا شك فيه أن القوات المماليكية فى تلك الآونة لم تعد قادرة على السيطرة تماما على هذا المرفأ الحيوى المهم ، الأمر الذى يفسر لنا السيطرة العثمانية عليها فى جمادى الآخرة لسنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م دون قتال ولا ممانعة من المماليك ، وكل الذى حدث فى السلطنة المماليكية أن السلطان الأشرف قايتباى (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) قد " انزعج "[١] لهذا الأمر، كما شوهدت فى جمادى الآخرة سنة ٩١٦هـ/ أكتوبر ١٥١٠م سفن بها طوائف صليبية بالقرب من آياس تقطع الطريق فى البحر على السفن المماليكية المشحونة بالسلاح وآلات الحرب وتستولى عليها[٢] ، وعندئذ أمر السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) بالقبض على رهبان كنيسة القيامة بالقدس ، وطلب منهم مكاتبة ملوكهم لرد الغنائم، وهدد بهدم الكنيسة وشنق رهبانها ، وأصدر أوامره بإغلاقها ومنع زيارتها، وعلاوة على هذا فقد أمر بالقبض على التجار الأوروبيين بالإسكندرية ودمياط وغيرها من مدن الساحل وسجنهم ومصادرة أموالهم المودعة بكنيسة القيامة[٣] .

وبعد هذا العرض التاريخى عن ميناء آياس والصراع الدولى حوله ، نجد أمامنا عدة تساؤلات تطرح نفسها على بساط البحث ، منها : هل خضع ميناء آياس - بعد السيطرة المماليكية عليه للنظام الإدارى الذى وضعه سلاطين المماليك للسلطنة؟ لعل تتبع الإشارات التى وردت فى المصادر المعاصرة وتحليلها ، يساعدنا على إيجاد إجابة عن هذا الاستفسار .

تذكر بعض المصادر أنه إبان سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة ، جردت حملة عسكرية ضد آياس للسيطرة عليها فى سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م ، وهدمت برجها البحرى ، ويذكر ابن حبيب : " وأقاموا بها نوابا للسلطان "[٤] ، وكان على ما يبدو أول أمير لها هو مغلطاى الذى كان من مقدمى الألوف بحلب وشارك فى فتوحات

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٥١.

(٢) نفسه ، جـ٤ ، ص ١٩١-١٩٢.

(٣) محمود رزق سليم : قانصوه الغورى ، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٢، ص ٢٧٩.

آيـــاس[١] ، وتـــوفى سنة ٧٤١هـــ/١٣٤٠-١٣٤١م[٢] ، وعين مكانه الأمير بيبرس الســـلحدار الناصرى الذى توفى بها سنة ٧٤٢هـــ/١٣٤١-١٣٤٢م[٣] ، كما وليها أيضـــا الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير علاء الدين مغلطاى الشمسى الذى توفى فى ربيع الآخر سنة ٧٦٤هـــ-١٣٦٣م[٤] ، كذلك ورد اسم الأمير خليل بن بلال الذى وليها فى العاشر من محرم ٨١٦هـــ /أبريل ١٤١٣ ، ثم عين مكانه فى الاثنين ٢٣ربيع أول ٨٢٠هـــ /١٤١٧م الأمير سيف الدين صاروجا مهمندار حلب، ثم فى سنة ٨٢٣ هـــ/١٤٢٠م ونقرأ عن وجود الأمير درمش نائبا لها[٥]، وفى ٢٨محرم ٨٧٧هـــ/يوليو ١٤٧٢م الأمير يلبغا[٦] .

وباستعراض هؤلاء النواب الذين تناوبوا على نيابة آياس يمكن القول أنه على الرغم مـــن أن سلاطين المماليك كانوا يعينون بأنفسهم نائب آياس ، إلا أن الأخير كان يتبع نائـــب حلـــب، ويشير إلى هذا ابن شاهين الظاهرى فى أواخر القرن التاسع الهجرى /الخامس عشر الميلادى إذ يقول: " وهى من معاملة حلب "[٧] ، ويضيف القلقشندى أنـــه يكتب لنائب آياس عن النائب الكافل والأتابك[٨] ، ويكتب له فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث وبصيغة " المجلس العالى السامى بالياء أو بغير الياء "[٩] .

هـــذا فيما يتصل ببعض النواب الذين عينوا فى نيابة آياس . أما عن الأجناس التى كانـــت تعيش فيها ، فهناك أقوال لبعض المعاصـــرين مفادها أنها مدينة لسائر التجار

---

(١) الشجاعى : المصدر السابق ، ج٢، ق١، ص ١٢٣.

(٢) أبو الفدا:المصدر السابق، ج ٤، ص١٣٥ . والمقريزى : السلوك ، ج٢،ق٣،ص ٥٥٣.

(٣) الشجاعى : المصدر السابق ، ج٢ ، ق١ ، ص ٢٢١ . والمقريزى : السلوك ، ج٢،ق٣، ص ٦١٦.

(٤) وابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج٣، ص ٢٦٠.

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، ج٤، ق١، ص ٤٠١ ،٤٠٢، ٤٠٨، ٥١٧.

(٦) شمس الدين الحلبى : المصدر السابق ، ص ١٥١.

(٧) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق: خليل المنصور، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٧م، ص ٤٥.

(٨) القلقشندى : المصدر السابق ، جـــ، ص ٢٢١.

(٩) نفسه ، ج ١١، ص ١٠٨.

المسلمين والصليبيين ، وهى " بلد فسق ظاهر ، تمتلئ فيها الأعراض ، وتشرب فيها الخمور ، وبها أربعمائة بيت خمارة ، وستمائة خاطية من سائر الجنوس ، وما دخلها أحد إلا خرج منها مسلوب المال والدين "[١] .

ومن ثم كان الأرمن من بين الأجناس التى فرضتها طبيعة المكان على آياس ، وتوافد عليها شوامٌ من عكا وصور و إنطاكية ، حيث حملوا معهم القطن إليها ، وكذلك وجد المغول ، وتجار من بغداد ، وكان أحدهم يدعى يوسف ، وقد امتلك بها متجرا مستديما[٢] ، علاوة على هذا فإنه وجد فيها كثيرًا من البنادقة ، وخصصت لهم فيها كنيسة بها قسيس ، وملحق به مقبرة . ويبدو أن عددهم كان يفوق عدد غيرهم من الأجناس ، ربما لأن سفنهم كانت تأتى بصفة دورية سنوية إلى آياس ، الأمر الذى أدى إلى ارتباط عقد الصفقات التجارية بوصول البنادقة . ونظرا لكثرة عددهم فقد حدثت منهم اعتداءات وسلب ونهب على التجار فى آياس ، وعلاوة على التواجد البندقى ، وجد الجنويون الذين كان لهم قنصل دائم فى آياس يساعده مجلس من أهل الخبرة ، ومعه موظف ينفذ الأحكام، ويقوم بشئون البيع والشراء ، خصوصا فيما كان يتصل بالنزاع الذى ينشب بين الجنويين والبنادقة ، ويضاف إلى الجنويين والبنادقة البيزيين ، الذين كان لهم قنصلية بها . زد على كل هذه الأجناس ، الفرنسيين والقطلان الذين كان لهم حى وسوق خاص بهم[٣] ، كما وجدت أيضا بآياس مخيمات للتركمان [٤] .

---

(١) الشجاعى : المصدر السابق ، ج ٢، ق ١، ص ١١.

(٢) هايد (ف) : المرجع السابق ،جـ٢، ص ٣١٦.

(٣) هايد (ف) : المرجع السابق ، جـ٢، ص ٣١٦- ٣٢٤.

(4) Vryonis (Spero) : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the eleventh through the fifteenth century , Landon , 1971 , p. 275.

أمـــا عن ديانة هذه الجنسيات التى تعيش فى آياس ، فكانت بطبيعة الحال المسيحية والإسلامية ، وإن قل عدد المسيحيين بها منذ بداية التطلعات المملوكية إليها إلى أن تمت السيطرة عليها تماما[١] .

وخلاصة القول : أن ميناء آياس كان يشكل خطورة على دولة سلاطين المماليك مـــنذ نشـــأتها فى منتصف القرن السابع الهجرى /الثالث عشر الميلادى ، الأمر الذى دفعهـــم إلى السيطرة عليها فى محاولة منهم لقطع الطريق على أية تطلعات عسكرية من المغول أو الصليبيين ، سواء من غرب أوربا ومن جزر البحر المتوسط أو من الأرمن ؛ وهـــذه القضية شغلت بال المماليك أكثر من قرن من الزمان . ويمكن القول أنه رغم الـــتطلعات والهجمات من القوى الدولية المعاصرة آنذاك على آياس فإن الدور القيادى فى هـــذا المضـــمار كان للمماليك ، ليس بهجماتهم المتوالية فحسب بل بتمكنهم من فرض نائب مملوكى عليها .

ومـــا يجب التركيز عليه هنا أيضا أنه رغم هذا الصراع على آياس فإن التجارة بين الصـــليبيين والأرمن كانت قائمة على قدم وساق وبخاصة بين قبرس وآياس[٢] . ولعل لهذا دلالة يعضدها ما سبق ذكره من أن هذا الميناء كان بمثابة الشريان التجارى لكثير من شعوب المنطقة وغيرها من مناطق الشرق والغرب على حد سواء .

وجملـــة القول : أن آياس هذا الميناء الذى كان يحمل اسم خليج يقع أقصى شمال الحدود المماليكية الساحلية الشامية، هو الآن قرية زراعية تبعد عن أنقرة حوالى ثلاثين مـــيلا إلى الغـــرب[٣] ، يخيم عليها البؤس وتملأها الأطلال الكثيرة[٤] ، وهناك كثير من القصص والروايات التى تحكى أن أشجار الزيتون التى مازالت موجودة إلى الآن ، كان قد زرعها الجنويون ، وغير ذلك من القصص التى لاتتصل كثيرا بالواقع فى شىء لا من قريب أو من بعيد[٥] .

* * *

(1) Setton (K. M) . Op. Cit., V.4, p.179 .
(2) Riley- Smith (J) : Op. Cit. , p. 316.
(3) The New Encyclopaedia Britannica , V. 1 , Chicago , 1973- 1974, p.691.
(4) The Encylopaedia of Islam , V. 1 , Leyden , 1913, p. 529.
(٥) هايد (ف) : المرجع السابق ، جـــ٢، ص ٣٢٨-٣٢٩.

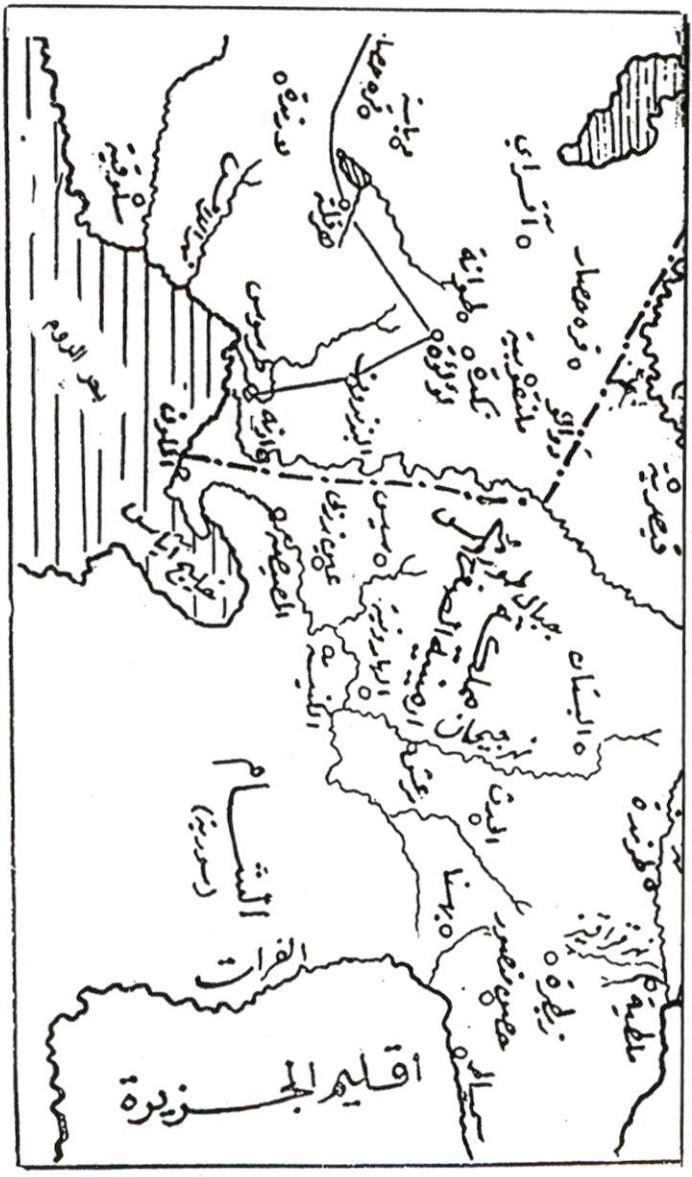

انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦٠ ، خارطة ٤

المصـــادر والمراجـــع

أولا: المصادر العربية :

١- **أحمد بن على الحريرى** : (عاش فى القرن ١٠هـ / ١٦م)

- الإعـــلام والتبـــين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين ، تحقيق : سهيل زكار، دمشق، ١٩٨١م.

٢- **الإدريسى** : (أبو عبد الله محمد، ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)

- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ، ١٨٦٦م .

٣- **الاصطخرى**: (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفاسى المعروف بالكرخى، ت ٣٠٩هـ/ ٩٥١م)

- المســـالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحينى ، مراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة، ١٩٦١م.

٤- **ابن إياس** : (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى، القاهرة،٨٢-١٩٨٤م.

٥- **ابن أيبك الدوادارى** : (أبو بكر عبد الله، ت ٧٣٣هـ / ١٣٢١م)

-الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، ج٩، تحقيق : هانس روبرت رويمر، المعهد الفرنسى ، القاهرة ، ١٩٦٠.

٦- **بيبرس المنصورى** : (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الدوادارى، ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)

- الـــتحفة الملوكية فى الدولة التركية (٦٤٨-٧١١هـ) ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٩٨٧م.

- زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، ج٩، تحقيق : زبيدة عطا ، جدة (د.ت).

٧- **ابن حبيب** : (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب ، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

- تذكـــرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ج٢، ج٣، تحقيق : محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عاشور، القاهرة ، ٨٢-١٩٨٦م.

٨- **ابن حوقل** : (أبو القاسم بن حوقل النصيبى، ق ٤ هـ/١٠م) .

- كتاب صورة الأرض ، ليدن ، ١٩٦٧م .

٩- **ابن خرداذبة** : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) .
- المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩م .
١٠- **ابن دقمان** : (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) .
- الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، جـ١، تحقيق : محمد كمال عزالدين، القاهرة ١٩٨٥م.
١١- **زترستين** : Zetersteen
- تاريخ المماليك مخطوط مجهول المؤلف تحقيق : زترستين ، ليدن ١٩١٩م.
١٢- **شافع بن علي**: (ناصر الدين شافع بن على عباس بن عساكر الكتانى المصرى، ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) .
- حسن المناقب السرية ، المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٨٩م .
١٣- **ابن شاكر الكتبى** : (محمد بن شاكر، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) .
- عيون التواريخ ، جـ٢١، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، بغداد ، ١٩٨٤م .
١٤- **ابن شاهين الظاهرى** : (غرس الدين خليل، ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م) .
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق : خليل المنصور ، بيروت، ١٩٩٧م .
١٥- **الشجاعي**: (شمس الدين، منتصف القرن ٨هـ / الرابع عشر الميلادى) .
- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده ، جـ ٢، ق ١، تحقيق : بربارة شيفر ، فسبادن ، ١٩٧٨م .
١٦- **ابن شداد** : (عز الدين محمد بن على بن إبراهيم، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م).
- الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، جـ ١، ق ٢ ، تحقيق : يحيى زكريا عبارة ، دمشق ، ١٩٩١م .
- تاريخ الملك الظاهر ، بيروت ، ١٩٨٣م .
١٧- **شمس الدين الحلبي** : (محمد بن محمود بن خليل الحلبى المعروف بابن أجا، ت ٨٨١هـ/١٤٧٧م).
- تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
١٨- **شيخ الربوة** : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى الدمشقى، ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) .
- نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر .
١٩- **الصيرفى** : (الخطيب على بن داود، ت ٨٧٩هـ/١٤٧٥م) .
- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
٢٠- **ابن عبد الحق** : (صفى الدين بن عبد المؤمن، ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) .
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ليدن ، ١٨٥٢.

٢١- **ابن العبرى** : (أبو الفرج جمال الدين) ت ١٢٨٦م /٦٨٥هـ.
- تاريخ الزمان ، ترجمة : إسحق أرملة ، بيروت ، ١٩٨٦م .
٢٢- **العينى** : (بدر الدين، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) .
- السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى ، تحقيق : فهيم شلتوت ، القاهرة ، ١٩٦٧م.
٢٣- **أبو الفدا** : (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
- تقويم البلدان ، حققه : رينو والبارون ماكل كوكين ديسلان .
- المختصر فى أخبار البشر ، ج٤ ، الطبعة الأولى ، القاهرة،(د .ت) .
٢٤- **ابن الفرات** : (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م) .
- تاريخ ابن الفرات، المجلد السابع (٦٧٢-٦٨٢هـ) ، تحقيق : قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٤٢م.
٢٥- **القلقشندى** : (الشيخ أبو العباس أحمد، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) .
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .
٢٦- **ابن كثير** : (أبو الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقى، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) .
- البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٨٣م .
٢٧- **ماركو بولو** : (ابن نيقو بولو، ت ١٣٢٤م /٧٢٤هـ).
- رحلات ماركو بولو، ترجمه إلى الإنجليزية : وليم مارسدن، ونقله إلى العربية : عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
٢٨- **أبو المحاسن** : (يوسف بن تغرى بردى الأتابكى جمال الدين، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م).
- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، جـ١ ، جـ٢، تحقيق محمد أمين، ومراجعة سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، جـ٣ ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز ، القاهرة ١٩٨٥م .
٢٩- **مفضل بن أبى الفضائل** : (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
- النهج السديد والدر الفريد فى تاريخ ما بعد ابن العميد ، نشره بلوشيةBlochet فى :
Patrologia Orientalis . V. 14 , Paris , 1920 .
٣٠- **المقريزى** : (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ /١٤٤٣م).
- السلوك لمعرة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، ١٩٥٧-١٩٧٢م .
٣١- **النويرى** : (محمد بن قاسم بن محمد بن السكندرى ، ت٧٧٥ هـ/١٣٧٣م) .
- الإلمام فيما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الإسكندرية، مخطوط فى معهد المخطوطات العربية .
٣٢- **ابن الوردى** : (زيد الدين عمر، ت ٧٥٠هـ /١٣٥٠م) .
- تتمة المختصر فى أخبار البشر ، مصر ، ١٨٦٩م .
٣٣- **ياقوت الحموى** : (شهاب الدين أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .
- معجم البلدان ، مصر ، ١٩٠٦م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1- Ciggaar (Krijnie), Davids (Adelbert) and Teule (Herman):
East and West in the crusader states . Context - Contacts- Confromtations , Uilgeveru peeters leuven 1996 .

2- Demombynes (Gaudefroy):
La Syrie , AL'Epoque Des Mamelouks tome . III , Paris , 1923.

3- Leopold (Antony) :
The Crusade proposals of the late thirteenth and early fourteenth centuries, Ashgate 2000.

4- Ramsay (William –Michell):
The Historical Geography of Asia Minor, Amsterdam , 1962.

5- Riley - Smith (Janathan):
The Oxford illustrated History of the crusades , New York , Oxford , 1995 .

6- Sauvaget (J) :
Alep, Paris , 1941.

7-Setton (Kenneth .M) :
A History of the crusades , V. 2 , Philadelphia , 1966, V. 3-5 , University of Wiscansin press , (1975-1985) .

8- The Encyclopaedia of Islam , V.I, leden , 1913.

9-The Encyclopaedia of Britannia , V. I Chicago , 1973- 1974.

10-Toumenoff (C) :
Armenia and Geargia , Chapter, 24, in camb- med . Hist, V. 4, Camb, 1964 .

11-Vryonis (Spero) :
The Decline of Mechieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the Eleventh through the fifteenth century , Landon , 1971.

ثالثا : المراجع العربية والمصرية :

١- أحمد مختار العبادى :

- قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م .

٢- ايرامارفين لابيدوس :

- مدن الشام فى العصر المملوكى ، ترجمة : سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٨٥م .

٣- دائرة المعارف الإسلامية :

- جـ٣، ترجمة : عباس محمود وعبد الحميد يونس وأحمد الشنتناوى وإبراهيم خورشيد ، القاهرة ، ١٩٣٣م .

٤- ستيفن رنسيمان :

-تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣، ترجمة:السيد الباز العربى، بيروت ، ١٩٦٨م .

٥- سعيد عاشور :

- الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

- الحركة الصليبية ، جزءان ،الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

- العصر المماليكى فى مصر والشام،الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

- قبرس والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧م .

- المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، مقال بالجمعية التاريخية الموسم الثقافى ، ٦٧-١٩٦٨.

٦- السيد الباز العرينى :

- المغول ، بيروت ، ١٩٨١م .

٧- السيد عبد العزيز سالم :

- تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، الطبعة الثانية ، الإسكندرية ، ١٩٦٩م .

٨- صبحى لبيب :

- سياسة مصر التجارية فى عصر سلاطين المماليك ، مقال فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلدان ٢٨، ٢٩ لسنة ٨١-١٩٨٢م .

٩- عادل إسماعيل هلال :

- العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٧م .

١٠- عبد الحفيظ محمد على :

- المسلمون والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط فيما بين القرنين ٣-٦ هـ /٩-١٢م ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

١١- عبد السلام عبد العزيز فهمى :

- تاريخ الدولة المغولية فى إيران ، القاهرة ، ١٩٨١م .

١٢- عفاف سيد صبرة :

- العلاقات بين الشرق والغرب (علاقة البندقية بمصر والشام) ، (١١٠٠-١٤٠٠م) ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

١٣- على إبراهيم حسن :

- تاريخ المماليك البحرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٤- فتحى عثمان :

- الحدود الإسلامية البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٥- كى لسترينج :

- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

١٦- ليلى عبد الجواد إسماعيل :

- علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية (٦٥٩-٧٨٤هـ/١٢٦١-١٣٨٢م) ، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد٤٦-٤٧، لسنة ١٩٨٦م ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

١٧- محمد جمال الدين سرور :

- دولة بنى قلاوون فى مصر ، القاهرة (د.ت).

١٨- محمود رزق سليم :

- قانصوه الغورى (د.ت).

١٩- منى إبراهيم عبد الرحمن :

- السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ، ١٩٧٥م .

٢٠- هايد (ف) :

- تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة : أحمد محمد رضا ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٢١- يوشع براور :

- عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حيسن ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٩٩م .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
سيمنار التاريخ الإسلامى والوسيط

الأربعاء الأول من كل شهر
من الخامسة مساء
بمقر الجمعية بمدينة نصر.

* * * * * * * *

أولا : شهر ديسمبر ٢٠٠٣ الأربعاء ٢٠٠٣/١٢/٣ يدير الجلسة : أ. د. نجوى كيرة

١ – أ.د. منى بدر : العقوبات من خلال صور المخطوطات الإسلامية .

٢ – أ.د. على السيد على : أهمية وثائق الحرم القدسى فى دراسة التاريخ الاقتصادى للقدس عصر سلاطين المماليك .

٣ – أ.د. حسن خضير : المراكز التجارية فى الصحراء المغربية وأثرها فى قيام الكيانات السياسية فى القرنين ٤، ٥ الهجريين .

ثانيا : شهر يناير ٢٠٠٤ الأربعاء ٢٠٠٤/١/٧ يدير الجلسة : أ.د. أيمن فؤاد سيد

١ – أ.د. عفاف صبرة : الجزيرة الفراتية والقوى المجاورة قبل الإسلام وحتى نهاية العصر الأموى .

٢ – أزد. سعيد مغاورى/المرأة فى العصر الإسلامى فى ضوء البرديات العربية .

ثالثا : شهر فبراير ٢٠٠٤ الأربعاء ٢٠٠٤/٢/٤ يدير الجلسة : أ.د. عبادة كحيلة

١ – أ.د. أيمن فؤاد سيد : موضوع سيعلن عنه فى حينه .

٢ – أ.د. صبرى سليم : حضارة مدينة سمرقند عاصمة السامانيين الأولى ٢٠٤ – ٢٧٩هـ .

رابعا : شهر مارس ٢٠٠٤ الأربعاء ٢٠٠٤/٣/٣ يدير الجلسة : أ.د. محمد النشار

١ – أ.د. محمد مؤنس عوض : نقد اتجاهات بعض الباحثين الغربيين فى دراسة تاريخ الحروب الصليبية .

٢ – د. أحمد عبد اللطيف : الوليد بن عقبة بن أبى معيط والى الكوفة المفترى عليه .

خامسا : شهر إبريل ٢٠٠٤ الأربعاء ٢٠٠٤/٤/٧ يدير الجلسة : أ.د. عفاف صبرة

١ – أ.د. محمد النشار : قضية الحروب الصليبية فى الأندلس .

٢ – د. يمنى رضوان : البحرية الإسلامية فى الأندلس فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

٣ – د. عبد العزيز رمضان : البيزنطيون بين اليونانية والرومانية .

سادسا : شهر مايو ٢٠٠٤ الأربعاء ٢٠٠٤/٥/٥ يدير الجلسة : أ.د. على السيد على

١ – أ.د. بحوى كيرة : موقف الإسلام من الرق .

٢ – أ.د. عبد الحميد حمودة : موضوع سيعلن عنه فى حينه .

* * *

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

قطعة ٤ بلوك ٧ المنطقة التاسعة مدينة نصر – خلف مدارس المنهل

سمنار تاريخ مصر المعاصر

برنامج الموسم الثقافى لعام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤

تعقد الجلسات فى مقر الجمعية فى تمام الساعة السادسة

اليـــوم	المتحـدثون	الموضـــوع	يدير الجلسة
الأربعاء ٢٠٠٣/١٢/١٧	المستشار طارق البشرى د. أحمد زكريا الشلق	البنـية التحتية للديمقراطية فى التاريخ المصرى الدستوريون والانقلاب علي الدستور	د. رءوف عباس
الأربعاء ٢٠٠٤/١/٢١	د. رءوف عباس د. إيمان يحيى	دستور ١٩٢٣ ، نظرة نقدية ثمانون عاما من الحياة الدستورية والنيابية (ملاحظات عامة وأولية)	د. عاصم الدسوقى
الأربعاء ٢٠٠٤/٢/١٨	د. أحمد الشربينى د. إسماعيل زين الدين	المعـارك الانتخابية فى مصـر ١٩٢٤–١٩٥٢ نماذج للمعارضة النيابية فى مصر ١٩٣٦–١٩٥٢	د. على بركات
الأربعاء ٢٠٠٤/٣/١٧	أ. صلاح عيسى د. سعيدة حسنى	دسـتور ١٩٥٤ الاختيار الليبرالى الذى رفضته ثورة يوليو عبد العزيز فهمى ودستور ١٩٢٣	د. عادل غنيم
الأربعاء ٢٠٠٤/٤/٢١	د. على شلبى د. عبد الواحد النبوى	ثورة ١٩٣٥ ودستور ١٩٢٣ فلسطين فى البرلمان المصرى	د. عبد المنعم الجمعى
الأربعاء ٢٠٠٤/٥/٢٠	د. سيد دياب أ. نبيل عبد المولى	نواب الغربية فى برلمان الخديو إسماعيل مديرية الفيوم ودورها فى الحياة النيابية	د. أحمد الشربينى

- المشرف على السمنار : د. أحمد زكريا الشلق
- مقـــرر الســمنار : د. أحمـــد الشـــربينى

رئيس الجمعية

د. رءوف عباس